Journal of Arabian Peninsula Centre
for Educational and Humanity Researches
Volume (1), Issue (1): 30/May/ 2019
p: 153- 169
Copyright License

ISSN: 2707-742X

مجلة مركـــز جـــــزيرة العـــــــرب
للبحوث التـــربـــوية والإنسانية
المجلد (1)، العدد (1): 30/ مايو/ 2019م
ص: 153-169
تاريخ الاستلام: 2019/04/08 القبول: 2019/5/14

الخلاف النَّحوي؛ نشأته، أسبابه، مظاهره

د. أكرم ناصر ناصر حسين

أستاذ النحووالصرف المساعد|| قسم اللغة العربية|| كلية اللغات|| جامعة صنعاء|| اليمن
Email: Al-jahfaly@hotmail.com || phone: 0096777853518 ||

الملخص: تناولت هذا الدراسة الخلاف النحوي، نشأته، أسبابه مظاهره، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي والوصفي، وانقسمت الدراسة علة ثلاثة مطالب، المطلب الأول: تناول نشأة الخلاف النحوي، وأوليَّاته، وتنا ول المطلب الثاني: أسباب الخلاف النحوي، ومؤثراته، وتناول المطلب الثالث: مظاهر الخلاف النحوي، وقد أوضحت الدراسة مصطلحات الدراسة المفتاحية، الخلاف، المناظرات، المجالس، وتوصلت الدراسة إلى: بيان أوليَّات الخلاف النحوي الذي بدأ بالاحتمالات، ثم المناظرات، وبيَّنت الدراسة أسباب الخلاف النحوي ومؤثراته المتمثلة بـ: بالمؤثرات السياسية والبيئية واللغوية والثقافية، ومؤثرات السماع والقياس، كما أوضحت الدراسة مظاهر الخلاف النحوي، المناظرات، المسائل النحوية، وكتب الخلاف النحوي، والخلاف النحوي بين نحاة المذهبين ونحاة المذهب الواحد، والخلاف عند النحوي نفسه، وقد أوصت الدراسة بـ: دعوة النحاة لعدم التشدد في المسائل الخلافية، لا سيما مدرسي النحو في المدارس، والرجوع للقرآن الكريم بعدِّه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفة. والأخذ بالرأي الأقرب إلى الفهم في أثناء تدريس النحو، والابتعاد عن الآراء الخلافية التأويلية التي تبعث التعقيد، وإقامة الندوات والمناظرات التلفزيونية والإذاعية بين المتخصصين للتعريف بقواعد النحو العربي وأصوله، وفتح مواقع إلكترونية وقنوات تعليمية، وإنشاء مجلات متخصصة للنحو، والدعوة إلى وضع كتب في تيسير النحو متجاوزة تعقيدات الخلاف النحوي، كما يقترح الباحث إجراء الدراسات حول الموضوعات والعناوين الآتية: دراسة الخلاف النحوي من المنظور السياسي، ودراسة الحقبة الأولى للخلاف النحوي التي سبقت حقبة أبي الأسود الدؤلي، والأسباب التي أدت إلى تهميش النحو الكوفي وإعلاء النحو البصري، ودراسة الخلاف النحوي وأسبابه عند النحوي نفسه، وهل للخلاف النحوي دور في تيسير النحو.

الكلمات المفتاحية: الخلاف النَّحوي، نشأته، أسبابه، مظاهره.

Grammar controversy; it's origins, causes, manifestations

Dr. Akram Nasser Nasser Hussein

Assistant Professor of Grammar and Morphology || Department of Arabic || Faculty of Languages || Sana'a University || Yemen || Email: Al-jahfaly@hotmail.com || phone: 0096777853518

Abstract: This research deals with the grammatical disagreement, its origin, causes and manifestations. It bases on the historical and descriptive approaches. It is divided into three sections. The first section deals with the origin of the grammatical disagreement and its beginnings. The second section discusses the reasons behind the grammatical controversy and its effects. The third section shows the manifestations of the grammatical disagreement. The study shows the key terms of the research, points out the rudiments of the grammatical disagreement that was started as expectations and then as debates. It also explains the reasons behind the grammatical disagreement and its political, environmental, linguistic, and cultural influences as well as the influences of listening and anologies. The study also points out the manifestations of grammatical dispute: debates, grammatical issues, the books which include the grammatical disagreement, the grammatical controversy between grammarians of the two different doctrines and the scholars of the same doctrine, and the disagreement of the

grammarian himself. The study recommended the grammarians not to be strict about the controversial issues, especially grammar teachers in schools. They can return to the Holy Quran as the book that doesn't contain any mistake, and to take the closest opinion while teaching grammar. The study also, recommended the teachers to avoid the controversial and interpretive views. There could be television and radio seminars and debates between specialists to introduce Arabic Grammar. In addition, to the opining of websites, educational channels, and magazines for Grammar, and to provide books in facilitating the grammar to avoid the complexities of grammatical controversy. This study recommends to study the grammatical controversy from political point of view as well as its first era that preceded Abu Al-aswad Alduwali'speriod. Inaddition, it recommends the study of the reasons that led to the marginalization of Alkufi grammar and the enhancement of Albasra grammar, the grammatical disagreement and its causes for the grammarian himself, and whether the grammatical controversy plays a role in facilitating grammar.

Keywords: grammatical disagreement, its origins, causes, manifestations.

1- المقدِّمة.

يعدُّ الخلاف النَّحوي من أهمُّ القضايا التي ارتكز عليها النحو العربي من بداية نشأته حتى الآن، وهو ما مهدَّ لظهور مدرستين كبيرتين في النحو العربي، مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، ومن ثَمَّ ظهرت بعد ذلك المدارس الأُخَر، المدرسة البغدادية والمدرسة المصرية والمدرسة الأندلسية.

لقد كانت قضية الخلاف النَّحوي وما زالت من أهم القضايا التي شغلت دارسي النحو العربي وطلابه، وهذه الخلافات كثيرة ومتشعبة في كتب النحو، ولم تبرز هذه الخلافات بين مدرسة وأخرى، أو بين نحوي وآخر فحسب، بل برز الخلاف لدى النَّحوي نفسه، مما شَكَّل معضلة أمام دارس النحو، فكان الدارس بحاجة ماسة لتوضيح هذه الخلافات وتقريب وجهات النظر؛ لذا ولج الكثيرون باب الخلاف النَّحوي قديمًا وحديثًا، وهذه الدراسات نحت مناحيَ متُعدِّدة، منها ما رصد مسائل الخلاف بين المذهبين البصري والكوفي وتخريجها، أو رصد مسائل الخلاف بين نحوي وآخر، أو رصد مسائل الخلاف للنحوي نفسه، وكان الهدف من تلك الدراسات تبسيط الرأي الأقرب إلى الصواب وترجيحه، وإن كانت في بعض الأحيان عند بعض النحاة تنتصر لمذهب على آخر؛ لذا رأينا أن نطرق هذا الموضوع لدراسته، حيث انقسم هذا الموضوع على ثلاثة مطالب، تسبقهما مقدمة، وتلحقهما خاتمة، تناول المطلب الأول: نشأة الخلاف النحوي، والمطلب الثاني: أسباب الخلاف النحوي، والمطلب الثالث: مظاهر الخلاف النحوي، وقبل أن نتعمق في هذه الدراسة سنوضح الآتي:

مشكلة الدراسة:

كما أسلفنا -سابقاً- أنَّ قضية الخلاف النَّحوي من أهم القضايا التي شغلت دارسي النحو العربي وطلابه؛ وذلك لكثيرة انتشار هذه الخلافات في كتب النحو وتشعبها، ما شكَّل معضلة أما دارسي النحو في فهمه، فكثرة آراء النحاة الناتجة عن الخلاف النحوي أثقلت كاهل الدرس النحوي، لاسيما عند طلاب النحو المبتدئين، فكان الدارس بحاجة ماسة لتوضيح هذه الخلافات وتقريب وجهات النظر، ومن ناحية أخرى، فالخلاف يفتح للمتخصصين طرقاً لتوجيه آرائهم وتخريجها، وهذا ما سنوضحه في هذا الدراسة.

ويمكن أنَّ نحدد مشكلة الدراسة عن طريق الأسئلة الآتية التي ستحاول الدراسة الإجابة عنها، وهي كالآتي:

1. متى ظهر الخلاف النحوي، ومتى كانت أوَّليَّاته، وعلى يد من كانت بداياته ونشأته؟
2. ما أسباب ظهور الخلاف النحوي؟
3. ما مؤثرات الخلاف النحوي؟

4. ما أهمّ مظاهر الخلاف النحوي؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

1. بيان تاريخ ظهور الخلاف النحوي، وأوَّليَّاته، وتحديد على يد من كانت بداياته ونشأته.
2. تحديد أسباب ظهور الخلاف النحوي.
3. توضيح المؤثرات والعوامل التي أدت لانتشار الخلاف النحوي.
4. حصر أهمّ مظاهر الخلاف النحوي.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في الآتي:

- الإفادة من نتائج الدراسة في تقويم الأساليب التي انتهجها النحاة في بناء النحو، وما جدَّ بعد عصور الخلاف من تراكيب، وقبول ما يصح منها، ورفض ما يخرج عن منهج العربية، بناءً على الأسس التي انتهجها النحاة من خلال الخلاف.
- قد تسهم هذه الدراسة في مساعدة الباحثين على الوقوف على أسس الخلاف النحوي في القضايا النحوية، والمفاضلة أو الموازنة بين مظاهره وأسبابه.
- الإفادة من نتائجه في تحديد الأطر التي لا ينبغي أن يخرج عنها أي منهج، أو دعوة لتبني الوجه الأرجح في قضايا النحو أو تيسيره.
- الاستفادة من دراسة الخلاف النحوي في تبيين طريقة التفكير النحوي الذي توصل إليه النحاة، والحجج والبراهين التي اعتمدوا عليها في دعم آرائهم، وبيان الأصول التي بنوا عليها، والنتائج التي انتهوا إليها.

حدود الدراسة:

اعتمدت الدراسة على كتب تاريخ النحو وأصوله، وكتب المدارس النحوية، واعتمد على كتب الخلاف النحوي، وعرَّجت الدراسة على بعض كتب التراجم، وبعض المعاجم؛ وذلك لما تقتضيه الدراسة.

منهج الدراسة.

وتمثَّل منهج الدراسة في المنهج التاريخي الذي أصّل لأوليَّات الخلاف النحوي وبداياته ونشأته، وبيئته ومجالس الخلاف ومناظراته، كلُ ذلك لابدَّ أن يعتمد على المنهج التاريخي، وكذا المنهج الوصفي الذي من خلاله تمَّ توصيف عناصر الدراسة وقضاياها.

مصطلحات الدراسة:

- **الخلاف:** الخلاف في اللغة: مصدر خالف، والخلاف المضادَّاة، وقد خالفه مخالفة وخلافاً، وتخالف الأمران واختلفا، لم يتفقا، وكلّ مالم يتساوَ فقد تخالف واختلف[1].
- وفي الاصطلاح: أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله[2]، وهو منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق، أو إبطال باطل[3]، وهو أعمّ من الضدِّ؛ لأنَّ كلّ ضدين مختلفان، ولا نعدُّ كلَّ مختلفين ضدين[4].
  - ومن ذلك نستطيع القول: إنّ الخلاف النحوي هو تخالف النحاة في توجيهاتهم وتخريجاتهم وآراؤهم المختلفة والمتعددة في قضايا النحو وإعرابه.
- **المناظرة:** المناظرة في اللغة: ناظره مناظرة، بمعنى: جادله مجادلة[5].
- وفي الاصطلاح: هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب، [6]وهي نوع من الحوار بين طرفين أو أكثر؛ بحيث يكونون على معرفة بالقضية المطروحة للمناظرة، وتقوم على أساس وجود طرف مؤيد للقضية وطرف آخر معارض، حيث يقوم كلّ طرف بمحاولة إثبات صحة رأيه[7].
  - ومن ذلك نستطيع القول: إنّ المناظرة بين النحاة هي مجادلاتهم وحواراتهم في قضايا النحو، ومحاولة كلٍّ إثبات حجته، والانتصار لرأيه أو مذهبه.
- **المجالس:** في اللغة: الجلوس: القعود، وجلس يجلس، فهو جالس، وقوم جلوس وجلاس، والمجلس: موضع الجلوس، والمجلس: جماعة الجلوس، وقد جالسه مجالسه، وجِلاساً، والجَلْس والجَليس والجلِّيس: المجالس، وهم الجلساء، والجلَّاس[8].
  - من ذلك نستطيع تعريف المجالس أنها: الأماكن التي يتخذها الجالسون والجلَّاس في مكان ما؛ لإدارة المناقشات والمناظرات فيها، ومن ذلك مجالس النحو التي كانت تعقد.

المطلب الأول- نشأة الخلاف النحوي

1- نشأته:

لقد نشأ الخلاف النَّحوي مع بداية نشوء علم النحو مرافقًا له في مدّة نموه وتطوره، وهو ما جعل النحو العربي يزدهر ويتسع إلى أن صار له مدارس ومذاهب، ويرجع سبب حيوية النحو العربي وغناه إلى الخلاف النَّحوي، ولولاه لما

(1)انظر: ابن منظور (د.ت): لسان العرب مادة (خلف).
(2)انظر: الفيومي (د.ت) المصباح المنير: _ مادة (خلف).
(3)انظر: الجرجاني (1996م): التعريفات: 135.
(4)انظر: الأصفهاني (1992م): مفردات القرآن: 294.
(5)انظر:المصباح المنير مادة (نظر).
(6)انظر: الكفوي (1998م): الكليات: 849.
(7)انظر: سلامي: (د.ت): المدخل إلى فن المناظرات: 43- 44.
(8)انظر: ابن سيدة (200م): المحكم مادة (جلس): 7/270- 271.

عُرفت المذاهب النَّحوية، بصرية وكوفية في أول الأمر، ومن ثم بغدادية وأندلسية ومصرية، ولما وصل النحو إلى ما وصل إليه من سعة في قواعده وأحكامه ومصطلحاته ونظرياته[9].

يُعدُّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) أول من فتح في الإعراب ما يمكن تسميته بالاحتمالات، إذ نراه يعرض كثيراً من الأمثلة تحمل وجوهًا مختلفة لإعرابها، ومن ذلك تجويزه في: يا زيد الطويلَ والطويلُ، بالضم والنصب، ومن ذلك قولك: يا هذا زيدٌ، و يا هذا زيداً، وعلى هذا النحو كان الخليل يكثر من الاحتمالات في وجوه الإعراب للصيغ والألفاظ والعبارات كما كان يكثر من التأويل والتخريج حين يصطدم ببعض القواعد التي يستظهرها، وهو في تضاعيف ذلك يحلل الألفاظ والكلام تحليلاً يعينه على ما يريد من توجيه الإعراب وما يريده من التأويل والتفسير[10].

أما الخلاف النَّحوي الذي أخذ طابع المناظرات فقد بدأ عند نحاة البصرة، وأولى البدايات للمناظرات النَّحوية كانت على يد عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت117هـ) وتلاميذه، فهم الذين فتحوا بابها وعدوا حلقاتها، فكانت مصدرًا يمدّ النحو العربي بالعطاء والنماء[11].

من تلك المناظرات التي عقدها ابن أبي إسحاق مع علماء عصره مناظرته مع بلال بن أبي بردة[12]، ومناظرة ابن أبي إسحاق لأبي عمرو بن العلاء(149هـ)[13]، ومناظرة ابن أبي إسحاق ليونس بن حبيب البصري(ت182هـ). عن يونس قال: مضيت إلى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، فقلت له: كيف تقرأ: ((فإذا برِقَ البصرُ)) القيامة : ٧، فقال: فإذا بَرق البصر، وفتح الراء، فقمت إلى أبي عمرو ابن العلاء، فقال: من أين بك؟ قلت: من عند عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، فسألته كيف تقرأ: فإذا برِق البصر؟ فقال: بَرَق البصر بفتح الراء، فقال: أبو عمرو وأين يراد به؟ يقال: بَرقت السماء، وبَرق النّبت، وبَرقت الأرض، فأما البصر فبرِق كما سمعنا[14].

تلك المناظرات تُعدُّ نماذج أوليَّة للخلاف النَّحوي، الذي احتدم بين نحاة المذهب الواحد، وهو المذهب البصري، وهذه المناظرات شاهدة ودليل يمكن من خلالها الوقوف على أوَّليَّات الخلاف النَّحوي وبدايات ظهوره الفعلي، الذي أخذ شكل المناظرات وطابعها، وهو الذي يمثل بداية الصراعات والنزاعات في المسائل النَّحوية، وهذه كانت مرحلة تالية للمرحلة الأولية للخلاف النَّحوي.

2- أوَّليَّاته:

أما أوَّليَّات الخلاف النَّحوي بين المذهبين البصري والكوفي، فيمكن عدّ بدايته من مناظرة سيبويه(ت180هـ) والكسائي(ت189هـ) إذ أرجع الدكتور هاني عبد الكريم فخري أوَّليَّات الخلاف النَّحوي بين المذهبين إلى المناظرة بين الكسائي وسيبويه في المسألة المعروفة بالمسألة الزنبُوريَّة[15].

وقد انقسم الدارسون المحدثون حول ذلك على فريقين:

1. الأول: يرى أنَّ الخلاف بدأ بأبي جعفر الرؤاسي (ت 189هـ) والخليل.

---

(9)انظر: فخري (2009م): المسألة الزنبُوريَّة: 23، حيث تطرق هذا الكتاب للخلاف النحوي وعوامله ومظاهره، وفصل القول هذا الكتاب في المسألة الزنبورية جميع جوانبها.

(10)انظر: شوقي ضيف (د.ت): المدارس النَّحوية، شوقي ضيف: 154.

(11) انظر: مكرم (1993م): الحلقة المفقودة في تاريخ النحو: 111

(12) انظر: الزجاجي (1984م): مجالس العلماء: 241.242.

(13) نفسه: 243.

(14) نفسه: 247.

(15) انظر: المسألة الزنبُوريَّة: 27.

2. والثاني: يرى أنَّ الخلاف النَّحوي بدأ بالكسائي وسيبويه.

أما على الرأي الأول: فمن العلماء من يرى أنَّ أبا جعفر الرؤاسي هو مؤسس مدرسة الكوفة، وأنَّه أول من وضع كتاباً في النحو، وقد اطلع عليه الخليل وانتفع به[16]، ومن ذلك الحين بدأت مدرسة الكوفة تناظر مدرسة البصرة، وظهرت أوَّليَّات الخلاف النَّحوي على يد الخليل وأبي جعفر الرؤاسي، ثم اشتدت بين سيبويه والكسائي[17].

وقد ذهب محمد الطنطاوي إلى أنَّ الرؤاسي أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وغيره من علماء الطبقة الأولى في البصرة، ثم قفل إلى الكوفة واشتغل فيها بالنحو مع عمه معاذ الهراء (ت187هـ)، فتكونت الطبقة الأولى من نحاة الكوفة، ثم صنف كتابه (الفيصل)في النحو، وقد بعث إليه الخليل يطلبه، فأرسله إليه، وأنَّ سيبويه نقل في كتابه عنه كما نقل عن البصريين، فإلى الرؤاسي بدأ النحو في الكوفة دراسة وتأليفًا، فهو رأس الطبقة الأولى، وكتابه (الفيصل)أول مؤلف في النحو، فأصحاب هذا المذهب يرون أنَّ الخلاف النَّحوي بدأ على يد الخليل والرؤاسي[18].

والحقيقة أنَّ هذا وهمٌ قد سرى بين الدارسين قديماً وحديثاً، فالقائلون بهذا الرأي أرادوا أن يرفعوا من شأن الكوفيين بمقابلة أبي جعفر الرؤاسي وشيخ العربية الخليل بن أحمد، والحقيقة أنَّ النَّحو الكوفي لم يبدأ حقيقة إلا على يد الكسائي الذي نقله نقلةً تضاهي النَّحو البصري.

أما الدكتور شوقي ضيف، فيؤيد قول أبي حاتم: وكان بالكوفة نحوي يقال له أبو جعفر الرؤاسي، وهو مطروح العلم ليس بشيء، إنما يبدأ النحو الكوفي الحقيقي بالكسائي وتلميذه الفراء (ت207هـ)، فهما اللذان رسما صورة النحو ووضعا أصوله، وأعدَّاه بحذقهما وفطنتهما؛ لتكون له خواصه التي يستقل بها عن النحو البصري، مرتبين لمقوماته، ومدققين في قواعده، ومتخذين له الأسباب التي ترفع بنيانه[19].

أما عبد العال مكرم فقد ردّ مقولة أبي حاتم عن الرؤاسي إلى الحسد والحقد، وأنَّ العظماء دائماً لا يسلمون من ألسنة الحاقدين، وذمّ الحاسدين ومن هؤلاء الحاسدين أبو حاتم، فقد قال: كان بالكوفة نحوي يقال له أبو جعفر الرؤاسي وهو مطروح العلم ليس بشيء، وأهل الكوفة يعظمون من شأنه، ويزعمون أنَّ كثيرًا من علومهم وقراءاتهم مأخوذة عنه، ورواية أبي حاتم تدل على التعصب المذهبي[20].

الذي يؤيد رأي الدكتور عبد العال من أنَّ أبا حاتم قد قال ما قال إنما هو من باب التعصب والحسد والحقد، إقرار أبي حاتم نفسه أنَّ أهل الكوفة- وهي شهادة للرؤاسي- يعظمون من شأنه ويأخذون عنه علومهم وقراءاتهم، ويبدو أن تعظيمهم إياه لا يأتي من فراغ، ولا ينبع من ضعف، إلا إذا كانت تلك الروايات التي ترفع من شأنه مشكوك في صحتها.

ونختم الكلام في الرأي الأول القائل: بنشأة النحو الكوفي على يد الرؤاسي، وأنَّ بداية الخلاف بدأ به والخليل برأي الدكتور هاني فخري، فقد عقب على ذلك قائلا: «إن تحديد نشأة المذهب الكوفي بالرؤاسي ومن ثَمَّ نشأة الخلاف بين المذهبين البصري والكوفي نشأ به وبالخليل أمر لم يقره البحث العلمي؛ لأنَّالرؤاسي لم ترد له آراء نحوية في كتب النحو، والقول: إنَّ الخليل أفاد من كتابه فدّون منه تلميذه سيبويه في كتابه(الكتاب) أمر لا يمكن الأخذ به؛ لأنَّ الادعاء أن سيبويه

(16) انظر: الحلقة المفقودة في تاريخ النحو:422 والأفغاني (د.ت): في أصول النحو: 176.

(17) انظر: الأفغاني (د.ت): ضحى الإسلام: 294/2.

(18) انظر: الطنطاوي (د.ت): نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة: 115.

(19)انظر: شوقي ضيف (1968م): المدارس النَّحوية: 154.

(20)انظر: الحلقة المفقودة في تاريخ النحو: 423.

في الكتاب قد ذكر من حكاية الكوفي أبي جعفر الرؤاسي أمر لا يقره جمهرة من الدارسين المحدثين لاسيما بعد النظر في الكتاب»[21].

أما الرأي الثاني:فيرى أصحابه أنَّ أولية الخلاف بدأ بسيبويه والكسائي، نافين أن يكون الخلاف النَّحوي قد بدأ بالرؤاسي والخليل، وأول مظاهر ذلك الخلاف المناظرة الشهيرة بين سيبويه والكسائي، التي دارت في مجلس الرشيد في المسألة المعروفة التي تسمى المسألة (الزنبُوريَّة)[22].

المطلب الثاني- أسباب الخلاف النحوي ومؤثراته

1. مؤثرات سياسية:

يمكن ردّ أسباب الخلاف النَّحوي إلى المؤثرات السياسية، فمنذ أن نشأت البصرة والكوفة بأمر من الخليفة الراشد عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- وهما كالبلد الواحد، لا يُكدِّر صفوهما شيء إلى أن حدثت موقعة الجمل، فآثر الإمام علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- الكوفة عاصمة له، وانظم أهل البصرة إلى السيدة عائشة وطلحة والزبير[23].

وعندما انتهت الحروب بين المدينتين تركت تلك الحروب نزاعًا وتخاصمًا وتنافساً بين أبناء البلدين، ثم جاءت دولة بني أمية، فكانت البصرة أموية الانتماء ظاهرتها و ناصرتها، والكوفة على حتف ومضض تتقبل ضغط الأمويين عليها؛ لقسوة الأموية وصرامتها، ثم جاءت الدولة العباسية على أنقاضها وكان مبدأ ظهورها في الكوفة، ومن ثَمَّ مال أمراء بني العباس إلى الكوفيين[24].

وهو ما وَلَّد نزاعاً وعصبية بين المدينتين، وقد امتدَّ هذا النزاع والتنافس إلى العلماء، فقد أُلِّفت كتب في ذلك منها كتاب (فخر أهل الكوفة على البصرة)[25].

وهذا الخلاف قد امتد إلى النَّحويين يختلفون فيما بينهم اتجاهاً واجتهاداً في مسائل كثيرة، وهو ما يبين أنَّ للعوامل السياسية والمذهبية دوراً في إذكاء الخلاف بين النَّحويين.

2. مؤثرات البيئة اللغوية:

أثبتت الدراسات النَّحوية أنَّ البصرة كانت أسبق من أختها الكوفة في وضع علم النحو والإلمام به وبقواعده، فقد بدأ النحو في البصرة بعد انتشار اللحن على الألسنة، وقد ذكر ياقوت الحموي رواية أبي الأسود الدؤلي (ت69هـ) المشهورة حين دخل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. رضي الله عنه. وهو مطرق مفكر بسبب تفشي اللحن، وبعد أن سأله أمره الإمام أن يضع علم النحو[26]، وهذه الرواية تشير إلى قدم وسبق أهل البصرة في وضع النحو.

---

(21) انظر: المسألة الزنبُوريَّة:29.

(22) لقد بسط الدكتور هاني فخري القول في هذا الرأي، وتناوله من جميع جوانبه ذاكراً ومفصلاً ومحللاً آراء الدارسين حوله، انظر: المسألة الزنبُوريَّة: 55-84، حيث تطرق هذا الكتاب إلى الخلاف النحوي وعوامله ومظاهره، وفصَّل القول في المسألة النورية جميع جوانبه، ويُعدُّ هذا الكتاب أول كتاب ينفرد بدراسة المسألة الزنبورية، ويحمل عنوانه.

(23)انظر: ابن كثير (د.ت): البداية والنهاية: 282/7.

(24) انظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة: 107.

(25)انظر: ابن النديم (1978م): الفهرست: 145.

(26)انظر: تفاصيل الرواية في مجالس العلماء: 19.9ومعجم الأدباء: 177/4.

وقال ابن سلام الجمحي (ت231هـ): «كان لأهل البصرة في العربية قُدمة وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية، وكان أول من أسس العربية، وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها، أبو الأسود الدؤلي، وكان رجلاً من أهل البصرة، وكان علوي الرأي... »[27].

وكانت الكوفة في تلك الحقبة مشغولة برواية الأشعار والأخبار والنوادر التي تيسرت لها، وذكر ابن جني(ت392هـ) ما رواه حماد الراوية: أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب في الطنوج، قال: «وهي الكراريس، ثم دفنها في قصره الأبيض، فلما كان المختار بن أبي عبيد، قيل له: فاحتفره، فأخرج تلك الأشعار، فمن ثَمَّ أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة»[28].

وعندما أدرك أهل الكوفة أنَّهم قد سُبقوا إلى علم النحو، سارعوا إليه وشاركوا البصريين في الأخذ بأسبابه، وظهر في الكوفة علماء في النحو، تعلموا أصوله ودرسوا أبوابه، وأرادوا مضارعة علماء البصرة فيه، ومن ثَمّ كان هناك مذهبان في النحو بصري وكوفي.

فالنحو قد نشأ في العراق؛ لأنَّ الحاجة إليه في العراق كانت أشد لاختلاط العرب بغيرهم، وأول لحن سمع بالعراق هذه عصاتي[29]، والصواب فيها قولنا: هذه عصاي، فزيادة التاء قبل ياء النسب لحن.

لقد كان مبدأ العلم في البصرة، وهي التي مهدت سبيله، وحددت معالمه واتخذت لها أسلوباً صارماً للحفاظ على اللغة العربية: سليمة نقية من الاضطراب، ثم شاركتها الكوفة فيه، واتخذت لها منهجاً مختلفاً-سارت عليه-يختلف في دراسته وتناوله للقضايا النَّحوية واللغوية، وقد ساعد ذلك على ظهور الخلاف النَّحوي، وكانت البصرة تقع على طرق البادية، وقد ساعد ذلك على رحلة العلماء إلى البادية، كما ساعد ذلك أعراب البادية على قدومهم إلى البصرة[30].

كانت البصرة تضم أكثر القبائل العربية التي بقيت على نقاء لغتها وسلامتها، وكانت لغات هذه القبائل مجالاً خصباً للنحاة يستشهدون بكلامهم ويحتجون بأشعارهم، فكانت تضم أكثر القبائل العربية الفصيحة منها قيس وتميم، وإلى جانب ذلك كانت تضم بعضًا ممن ينتمون إلى أصول غير عربية، وهم الذين عرفوا بالموالي، فكان منهم مَنْ لغته فصيحة، ومنهم مَنْ لغته غير فصيحة[31].

وكان في البصرة سوق المربد، وهي سوق مشهورة يؤمها الوافدون من وسط الجزيرة، ويؤمها القراء والفصحاء[32].

وفي البصرة مسجدها الذي كانت تعقد فيه حلقات العلم ومجالس الوعظ، يؤم تلك المجالس أهل البصرة من العرب والفرس، وبعض الأعراب الوافدين من البادية، وقد أورد الأصفهاني قصة الأعرابي الذي دخل المسجد بقوله: دخل أعرابي مسجد البصرة، فانتهى إلى حلقة يتذاكرون فيها الأشعار والأخبار، وهو يستطيب كلامهم، ثم أخذوا في العروض حتى إذا سمع المفاعيل والمفعول، ورد عليه علم لا يعرفه، فظن أنَّهم يأتمرون به، فقام مسرعاً وخرج، وقال:

قد كان أخذهم في الشعر يعجبني ... حتى تعاطوا كلام الزنج والروم

لما سمعت كلاماً لست أعرفه ... كأنَّه زجل الغربان والبوم

(27)انظر: الجمحي (د.ت): طبقات فحول الشعراء: 12/1.

(28)انظر: ابن جني (د.ت): الخصائص: 387/1.

(29) انظر: ابن السكيت (د.ت): إصلاح المنطق: 297.

(30) انظر: الحموي (د.ت): معجم البلدان: 432/1.

(31) انظر: ابن خلكان (1948م): وفيات الأعيان: 70/1.

(32) انظر: الأفغاني (1981م): صبح الأعشى: 337/4.

وفي البصرة مجلس حماد بن سلمة، وقصته المشهورة مع سيبويه، التي جعلته يعزم على طلب علم النحو[33].

ومن أشهر المجالس مجلس الحسن البصري، وقصته مع واصل بن عطاء مشهورة، التي بسبب تلك القصة سُمُّو بالمعتزلة[34].

ومن أكبر مجالس البصرة مجلس الخليل بن أحمد، وكان يضم طائفة كبيرة من الدارسين صاروا فيما بعد من أئمة اللغة، ولعل من أشهرهم سيبويه إمام نحاة البصرة[35].

أما الكوفة فقد كانت مهبط سبعين رجلاً من صحابة رسول الله (ﷺ)، والعرب الأولون كانوا من الأشراف وسراة القبائل، وكان من نازلتهم الموالي[36].

وقد أُنشئت الكوفة على مَدْنَى من الحيرة قاعدة المناذرة قديماً، وفي صقيع كان تحت إشراف الأكاسرة خاضعا لإمرتهم، دبت إليه الروح الفارسية في علومها وأنظمتها من حرية التفكير والعنو لسلطان العقل، والدأب على التوسع في الابتكار[37]. فالكوفة كانت لا تفصلها إلا بضعة أميال عن الحيرة، ديار اللخميين الذين كانوا تحت السيطرة الفارسية، يتألفون من العرب الذين أسسوها، ومن غير العرب الذين وفدوا إليها من بلاد النبط والفرس والأهواز وخرسان[38].

وكان نتيجة امتزاج العرب بغيرهم من غير العرب بالمصاهرة أن ظهر جيل جديد عُرف بجيل المولدين، ولهذا الجيل ميزات خاصة سواء في لغته أو في بيئته[39].

اشتهرت الكوفة بكثرة القراء، فقد ظهر فيها ثلاثة من القرَّاء السبعة المشهورين، وهم حمزة(ت156هـ) وعاصم(ت127هـ) والكسائي، لذلك يحتفل الكوفيون كثيرا بالسماع والرواية، ويكثر عندهم القياس على المسموع.

وفي الكوفة سوق الكناسة، وهي تحاكي مربد البصرة، ولكنَّها ليست في شهرتها ولا مكانتها[40].

تلك هي البيئة التي ظهر فيها النحو الذي شُحن بالخلاف متأثراً بتلك البيئة.

3. المؤثرات الثقافية والعلمية:

كان للإسلام أثر كبير في إذكاء روح العلم والمعرفة عند العرب، فلم يكد يمرُّ قرن من الزمن حتى أخذت العلوم المختلفة تتحد أصولها وتتضح معالمها، وأخذ العرب يستفيدون من الثقافات الأجنبية التي كانت تحيط بهم وتفد إليهم، فكان العرب ينهلون من العلوم المختلفة وينقلونها إلى لغتهم[41].

وكان لذلك أكبر الأثر في ازدهار الحركة العلمية والثقافية، وانتشار التعليم بين أبناء العامة والخاصة، فنهضت العلوم الدينية واللغوية والنَّحوية، وظهر الاعتزال وعلم الكلام والمنطق والجدل، وغيرها من العلوم الأُخَر.

وقد كان علماء البصرة أكثر تأثراً من علماء الكوفة بالفلسفة والمنطق، فقد كانت البصرة ميداناً للثقافات الوافدة؛ لأنَّها أقرب إلى جنديسابور الفارسية التي كانت تدرس فيها الثقافات اليونانية والهندية والفارسية، ما جعل جداول

---

(33) انظر: تفصيل القصة في الحموي (د.ت): معجم الأدباء: 245/3.

(34) انظر: معجم الأدباء: 568/5.

(35) نفسه: 505/4.

(36) انظر: الطبقات الكبرى:4/6.

(37) انظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة: 127.

(38) انظر: ابن الأثير (1348هـ): الكامل في التاريخ: 485/1.

(39) انظر: ديره (2003م): دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء: 32.

(40) انظر: في أصول النحو: 199.

(41) انظر: الأفغاني (1975م): فجر الإسلام: 142.

الثقافات تصب فيها، وأهل الكوفة أصحاب فقه وحديث وقراءة، وهم أكثر تحرجاً من أهل البصرة في الأخذ بالثقافات الأجنبية؛ لكثرة مَنْ فيها من الصحابة والتابعين، ومن الفقهاء والقراء وأهل الدين[42].

فسوق المربد كان مكاناً للقاء الفصحاء من الأعراب والتحدث إليهم والتزود من سليقتهم، وكذا مسجد البصرة لم يكن دار عبادة فحسب، وإنما مكاناً للتعليم، فكانت تقام فيه حلقات العلم، وكثيراً ما كانت تدار فيه مناظرات علمية يحضرها كثير من الناس، وكذا مجالس الخلفاء، التي كانت ميداناً واسعاً للجدال والمناظرات، وكانت تعقد فيها الندوات والمحاضرات العلمية.

كلا المدينتين تأثرت بالثقافات الأجنبية، إلا إن البصرة كانت أكثر تأثراً من الكوفة بالفلسفة والمنطق، أما الكوفيون فقد ظهر تأثرهم بالثقافات الأجنبية في العنو لسلطان العقل، والدأب على التوسع في الابتكار،

فهذه العوامل وغيرها أذكت أسباب الاختلاف والتنافس بين المصرين، فكان من نتائج هذا التنافس أنَّ العلماء كانوا يتناظرون في مجالس الخلفاء، وكان الخلفاء يحضرون المناظرات، بل ربما يظاهرون فريقاً على فريق[43].

فقد كان لهذه البيئة أثر في الخلاف النَّحوي، فقد اختلف المأخذ وتنوعت الثقافة للمصرين، فكان لابد أن يختلف المنهج لاختلاف المنهل، ويظهر الخلاف، فكان نحو البصرة يخضع للقوانين الصارمة والضوابط المحكمة، وهو في الكوفة أكثر مرونة وأقل صرامة؛ لأنَّه يقوم على السماع، فأكثر العلماء من أصحاب القراءات، بالإضافة إلى كثرة الشعر والرواية عندهم[44].

4. العوامل الشخصية:

من العوامل التي كان لها أثر بالغ في إشعال جذوة الخلاف النَّحوي التنافس العلمي بين النحاة والحرص على التفوق والتقدم، حيث كان الخلفاء يحرصون على مجالسة العلماء والمؤدبين الذين ذاع صيتهم وانتشر علمهم وفضلهم، ومن هؤلاء العلماء الذين انتشر أمرهم الكسائي حين وصل ذكره مسمع الخليفة المهدي، فاستقدمه إليه ليكون مؤدباً ولده؛ الرشيد، ثم عهد إليه الرشيد بعد أن ولي الخلافة أن يكون مؤدباً ولديه؛ الأمين والمأمون، ولما مرض الكسائي طلب الخليفة منه اختيار معلم ينوب عنه، فاختار أبا الحسن علي بن المبارك الملقب بالأحمر[45].

وكانت شهرة الكسائي واتصاله بالخلفاء دافعاً لحرص العلماء على الاتصال بالخلفاء ونيل العطاء، وكان ممن لحق به من الكوفيين الفراء الذي اتصل بالمأمون[46].

وهكذا كان لخلفاء بني العباس الدور البارز والأثر الأكبر في دعم المذهب الكوفي وتكاثر أتباعه، فكانوا يقربون علماء الكوفة وينتصرون لهم على البصريين، كما تقدم من خبر الكسائي وسيبويه.

وقد كانت المناظرات شعلة تنير طريق الاجتهاد والحرص والدأب، فيحشد كل من المتناظرين حججه وأدلته للرد على منافسه، وبذلك تكثر الفوارق ويظهر الخلاف بين المذهبين[47].

---

(42) انظر: المخزومي (د.ت): مدرسة الكوفة ومنهجها: 66.

(43) انظر: الزجاجي (1987م): أمالي الزجاجي: 240.

(44) انظر: حامد، فاطمة (1430هـ): أسس الترجيح النَّحوي: 25.

(45) انظر: السيوطي (د.ت): بغية الوعاة: 158/2.

(46) انظر: معجم الأدباء: 620/5.

(47) انظر: أسس الترجيح النَّحوي: 30.

5. مؤثرات السماع:

لقد حرص علماء البصرة على انتقاء الأساليب الفصيحة والشواهد الصحيحة، فقد سمعوا عن العرب كثيرًا، ولكنهم لم يقبلوا كلَّ ما سمعوا ولم يعتمدوا كل ما روي لهم، ولم تقم قواعدهم على الرواية العابرة، أو البيت النادر، أو القولة النابية، إنَّهم أرادوا أن يضعوا أسس علم حقيقي، وأرادوا لهذه الأسس أن تكون قوية متينة، فشواهدها لا بد أن تكون متواترة، أو قريبة التواتر حتى ترسخ قواعدها فلا تتزلزل، ويقوى أساسها فلا يلين[48].

أما نحاة الكوفة فقد توسعوا في السماع، وقبلوا جميع ما روي من الشعر، وما أُثر من كلام العرب، وسمعوا من القبائل التي أخذ عنها البصريون، وسمعوا قبائل أُخر رفض البصريون الأخذ عنها[49].

فتلك الضوابط الصارمة والقوانين المحكمة عند البصريين، وما يقابلها من توسع وليونة عند الكوفيين في السماع نتج عنه بروز الخلاف النَّحوي، الذي تجسد خلافاً بين المذهبين.

6. القياس:

ظهر القياس عند نحاة البصرة أولاً، فقد وجد النحاة طريق القياس أمامهم ممهداً، فقد ذلّل الطريق لهم ومهده الفقهاء الذين طرقوا باب القياس قبل النحاة وذللوه، فسار النحاة على طريقهم: يحذون حذوهم وينسجون على منوالهم؛ لذا ظهر القياس عند نحاة البصرة أولاً[50]، فقد اهتم بالقياس أوائل نحاة البصرة مثل أبي الأسود الدؤلي الذي أسس العربية وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها، وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي الذي كان أول من بَعَج النحو ومدَّ القياس والعلل، وكان معه أبو عمرو بن العلاء[51]، وكان ابن أبي إسحاق أشد تجريدًا للقياس من أبي عمرو، وكان أبو عمرو أبرع في اللغة[52]، فكان نحاة البصرة حريصين في أقيستهم النَّحوية، وهذه البراعة كان ضابطها حرصهم الشديد في تعاطيهم القياس وعدم التوسع فيه.

أما نحاة الكوفة فقد كان لهم- أيضاً- اهتمام بالقياس، ولكنهم توسعوا في المسموع عند العرب، وهذا أدى إلى توسعهم في القياس، فإمام الكوفة الكسائي يقول[53]:

إنّما النحو قياس يتبع وبه في كل أمر يُنتفع

فقد توسع الكسائي في القياس، ولم يقف عند المستعمل الشائع على الألسنة أو عند أعراب البدو الموثوق في سلامة لغتهم، بل مدَّه ليشمل ما ينطق به العرب المتحضرون، فكان يسمع الشاذ والشعر غير الفصيح والضرورات، فيجعل ذلك أصلاً يقيس عليه[54].

المطلب الثالث- مظاهر الخلاف النحوي

من خلال حديثنا السابق عن الخلاف النَّحوي وأوَّليَّاته وأسبابه تتضح مظاهره، التي تتمثل في:

---

(48) انظر: السيد (1968م): مدرسة البصرة النَّحوية: 146.

(49) انظر: مدرسة الكوفة ومنهجها: 331.

(50) انظر: الطويل (1985م): الخلاف بين النَّحويين: ١٣٦.

(51) انظر: طبقات فحول الشعراء:12/1.

(52) نفسه: 1/ 14.

(53) انظر: معجم الأدباء: 99/4.

(54) انظر: معجم الأدباء:95/4.

1- المناظرات:

أخذت المناظرات النَّحوية بين النحاة المتنازعين والمتخاصمين أشكالاً متُعدُّدة، فكانت أحيانًا تنشب بين نحاة المذهب الواحد، وقد تطرقنا سابقاً إلى نماذج منها، وهي تلك المناظرات التي دارت بين ابن أبي إسحاق وتلامذته، فقد كانت المناظرات تنشب بين نحاة المصرين، وهذه المناظرات كانت أحيانًا تنشأ بين النحاة والشعراء، وأحيانًا بين النحاة ورجال الدين، ومن ذلك:

1-1- المناظرة بين الكسائي وسيبويه:

طمحت نفس سيبويه إلى الشخوص في بغداد أملاً في الحظوة عند الخلفاء والأمراء، فارتحل إليها وهو لا يدري ما خبأه الغيب له، فنزل ضيفاً عند يحيى بن خالد البرمكي وزير هارون الرشيد، فعزم يحيى الجمع بينه وبين الكسائي، بعد أن عرّف الرشيد جلية الأمر، وعيَّن لذلك يوماً في دار الرشيد، فحضر سيبويه أولاً، وتلاقى مع الفراء والأحمر (ت 194هـ) تلميذي الكسائي، فسألاه وخطآه، وأغلظا له في القول، فقال: لا أكلمكما حتى يأتي صاحبكما. جاء الكسائي وغصت الدار بالحضور على مشهد من يحيى وابنه جعفر، ثم بدأ الكسائي في الحديث، وقال لسيبويه: تسألني أو أسألك؟ قال سيبويه: سل أنت، فقال له: هل يقال كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي، أوفإذا هو إياها؟ فقال سيبويه: فإذا هو هي ولا يجوز النصب، فسأله أمثال ذلك نحو: خرجت فإذا عبد الله القائمُ أو القائمَ، فقال كله بالرفع، فقال الكسائي: العرب ترفع ذلك وتنصبه، واحتدم الخلاف بينهما طويلاً، فقال يحيى: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن يحكم بينكما، فقال الكسائي: هؤلاء العرب ببابك وفدوا عليك من كل صقع، وقد قنع بهم أهل المصرين يحضرون ويسألون، فقال يحيى: قد أنصفت، واستدعاهم، فتابعوا الكسائي، فأقبل الكسائي على سيبويه وقال له: قد تسمع أيها الرجل، فاستكان سيبويه، وانقبض خاطره، فقال الكسائي ليحيى: أصلح الله الوزير، إنَّه قدم إليك راغباً، فإن أردت لا ترده خائبًا، فرق له يحيى وجبر كسره[55].

وكانت غلبة الكسائي على سيبويه في هذه المناظرة سببها السياسة، وذلك لقرب الكسائي من الخليفة[56]لا لصواب رأيه، فقد أثبتت الشواهد القرآنية صحة رأي سيبويه، كما أثبتت اللغة صواب رأيه[57].

1-2- المناظرة بين ابن أبي إسحاق والفرزدق:

عن الأصمعي أنَّ الفرزدق حضر مجلس ابن أبي إسحاق، فقال: كيف تنشد هذا البيت:

وعينان قال الله كوني فكانتا فعولات بالألباب ما تفعل الخمر

قال الفرزدق: كذا أنشده، فقال ابن أبي إسحاق الحضرمي: ما كان عليك لو قلت: فعولين، فقال الفرزدق، لو شئت أن أسبح لسبحت، فقال ابن أبي إسحاق: لو قال فعولين؛ لأخبر أنَّ الله خلقهما وأمرهما، ولكنه أراد: هما يفعلان بالألباب ما تفعل الخمر[58].

---

(55) انظر: مجالس العلماء: 109.

(56) انظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة: 54.

(57) للاطلاع على مناقشة هذه المسألة وتوجيهها النَّحوي، انظر: المسألة الزنبُوريَّة: 195-222.

(58) انظر: مجالس العلماء: 234.

3-1- مناظرة أبي عمرو ابن العلاء مع أبي حنيفة:

عن جلاد بن يزيد الأرقط عن أبي عمرو ابن العلاء أنَّه سمع أبا حنيفة يبطل القود إلا ما كان قتلا بحديد، فقال أبو عمرو: أرأيت إن ضربه بكذا، قال أبو حنيفة: حتى ولو ضربه بأبو قبيس[59]، لم يكن عليه قود، فقال أبو عمرو: هذا كلام شنيع، قال: وما الشنيع؟ قال: ولا تعرف الشنع أيضاً؟

ويقول أبو عمرو بن العلاء في أبي حنيفة لما سمع كلامه في الفقه: إنَّه لخطاب لو ساعده صوابه، وقال له مرة: إنك لأحوج إلى إصلاح لسانك من جميع الناس[60].

ومن مظاهر المناظرات احتفاء المجالس بإقامتها، مجالس الخلفاء والعلماء واللغويين، وهذه المجالس حافلة في كتاب (أمالي الزجاجي)و(مجالس العلماء)، وقد تقدم ذكر هذه المجالس، ومن هذه المجالس أيضاً: مجلس الرشيد ومجلس الأمين ومجلس بلال بن أبي بردة ومجلس ابن أبي إسحاق ومجلس الحسن البصري ومجلس الحسن بن قحطبة، ومجلس الخليل، ومجلس حماد بن سلمة، وأشهر تلك المجالس، وهي:

1. مجلس الكسائي مع الأصمعي عند الرشيد.
2. مجلس الكسائي مع أبي محمد اليزيدي.
3. مجلس الكسائي مع يونس.
4. مجلس أبي عبيدة مع أبي عثمان المازني.
5. مجلس ثعلب مع الرياشي[61].

2- المسائل الخلافية:

كان من مظاهر الخلاف النَّحوي حمل المسألة على أوجه مختلفة، ويُعدُّ هذا صلب الخلاف النَّحوي، فالنحو العربي انبنت قواعده وتأسست أركانه على الخلاف النَّحوي، وهذه المسائل تَعجُّ بها كتب النحاة سواء كانت هذه المسائل بين نحاة المذهبين، أو بين نحاة المذهب الواحد، التي تثبت نشوء النحو على الخلاف.

2-1- كتب الخلاف النَّحوي:

إنَّ من أبرز مظاهر الخلاف النَّحوي الخلاف بين المذهبين، البصري والكوفي، ومن شواهده وبدايته المناظرة الشهيرة بين الكسائي وسيبويه، وفي هذا السياق أُلِّفت كتب متعددة، مثل: (المسائل على مذهب النَّحويين مما اختلف فيه البصريون والكوفيون) لأبي الحسن محمد بن أحمد بن كيسان(ت 299هـ)، و(المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين) لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس(ت 338هـ)، و(الإنصاف في مسائل الخلاف بين النَّحويين البصريين والكوفيين) لأبي البركات عبدالرحمن بن الأنباري(ت577هـ)، ويحوي مئتين وإحدى وعشرين مسألة، و(التبيين عن مذاهب النَّحويين البصريين والكوفيين) لأبي البقاء العكبري (ت616هـ)، ويحوي خمسا وثمانين مسألة، و(ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة)، لأبي عبدالله عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي (ت805هـ)، ويحوي مئتين وثلاثًا وعشرين مسألة، ومن الكتب الحديثة التي أُلفت حديثاً(الخلاف النَّحوي بين البصريين والكوفيين وكتاب الإنصاف) لمحمد خير الحلواني، و(ثمرة الخلاف بين النَّحويين البصريين والكوفيين) للدكتور محمد حسنين صبرة، وغيرها كثير.

---

(59) جبل من جبال مكة.

(60) انظر: مجالس العلماء: 337.

(61) راجع أخبار هذه المجالس وتفاصيلها: المسألة الزنبُوريَّة: 199-124.

2-2- الخلاف بين نحاة المذهب الواحد:

لقد بيَّنَّا- من خلال عرضنا للمناظرات والمجالس التي حفلت بتلك المناظرات- الخلاف بين نحاة المذهب الواحد، وفي هذا المجال أُلِّفت مؤلفات متُعدِّدة، منها: (الانتصار لسيبويه على المبرد) لأبي العباس محمد بن ولاد(ت: 332هـ)، و(الخلاف بين سيبويه والمبرد) لأبي الحسن الرماني(ت384هـ)، وحديثا: (مسائل خلافية بين الخليل وسيبويه) لفخر صالح قدارة، و(مسائل الخلاف النَّحوي بين الكسائي والفراء) الحسيني محمد القهوجي، و(خلاف الأخفش الأوسط عن سيبويه) لهدى جينويتشي.

3-2- الخلاف عند النَّحوي نفسه:

من مظاهر الخلاف النَّحوي أنَّ النَّحوي نفسه يعارض آراءه ويخالفها في جملة مؤلفاته؛ وذلك ناتج –ربما- عن العامل الزمني وتزوده بالمعرفة الجديدة من حين لآخر، أو العامل المكاني، وذلك من خلال تنقله من مكان إلى آخر، أو ينتج ذلك التعارض من تتلمذه على أكثر من نحوي: ما يجعله يعارض نفسه، وقد يكون ذلك الخلاف عن عدوله عن رأيه السابق إن رأى غيره أرجح منه في مؤلف آخر، ومما أُلِّف في ذلك: (مسائل الخلاف النَّحوية والصرفية في كتاب الأصول) لإبراهيم بن صالح الحندود، مكتبة الملك فهد الوطنية- 1990م، و(الخلاف النَّحوي في التبيان لأبي البقاء العكبري) لسنية بنت عبدالرحمن العكش، رسالة مسجلة في جامعة أم القرى- 1422هـ، و(دراسة نحوية في علاقة بعض المسائل الخلافية بكتاب سيبويه) لعبدالكريم جواد كاظم الزبيدي، دار البيان العربي-جدة- 1403هـ، و(قضايا الخلاف النَّحوي في همع الهوامع للسيوطي) لعلي أحمد الكبيسي. أطروحة دكتوراه-جامعة القاهرة- 1987م.

الخاتمة.

تناولت هذا الدراسة الخلاف النحوي: نشأته، أسبابه، مظاهره، وقد أفضت إلى النتائج الآتية:

- بيَّنت الدراسة أوليَّات الخلاف النحوي، الذي بدأ بالخليل، والبداية الحقيقية للخلاف النحوي الذي أخذ طابع المناظرات، على يد عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وتلامذته الذين فتحوا بابها وعدُّوا حلقاتها، وبيَّن كذلك أوليَّات الخلاف بين البصريين والكوفيين، الذي بدأ بالمناظرة بين سيبويه والكسائي.
- بيّنت الدراسة أسباب الخلاف النحوي ومؤثراته، وأهمها؛ مؤثرات تتعلق بـ:(سياسية، والبيئة اللغوية، والثقافة العلمية، والعوامل الشخصية، ومؤثرات السماع، والقياس.
- أوضحت الدراسة مظاهر الخلاف النحوي المتمثلة في المناظرات، والمجالس التي دارت فيها المناظرات الخلافية، وكتب الخلاف النحوي، والخلاف بين نحاة المذهب الواحد، والخلاف عند النحوي نفسه.
- عرضت الدراسة إلى أهم المجالس التي دار فيها الخلاف النحوي، وأهمها مجالس: الأمين ومجلس بلال بن أبي بردة، ابن أبي إسحاق، الحسن البصري، الحسن بن قحطبة، الخليل، حماد بن سلمة، وكذلك مجلس الكسائي مع الأصمعي عند الرشيد، الكسائي مع أبي محمد اليزيدي، الكسائي مع يونس، أبي عبيدة مع أبي عثمان المازني، ثعلب مع الرياشي.

توصيات الدراسة ومقترحاتها.

1. دعوة النحاة لعدم التشدد في المسائل الخلافية، لا سيما مدرسي النحو في المدارس.
2. الرجوع للقرآن الكريم بعدِّه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفة.
3. الأخذ بالرأي الأقرب إلى الفهم في أثناء تدريس النحو، والابتعاد عن الآراء الخلافية التأويلية التي تبعث التعقيد.

4. إقامة الندوات والمناظرات التلفزيونية والإذاعية بين المتخصصين للتعريف بقواعد النحو العربي وأصوله.
5. فتح مواقع إلكترونية وقنوات، وإنشاء مجلات متخصصة للنحو.
6. الدعوة إلى وضع كتب في تيسير النحو بعيدة عن تعقدات الخلاف النحوي.
7. كما يقترح الباحث إجراء الدراسات حول الموضوعات والعناوين الآتية:
   1) دراسة الخلاف النحوي على وفق المنظار السياسي، ودور السياسة في توجيه الخلاف النحوي.
   2) دراسة الحقبة الأولى التي تُتعدُّ اللبنة الأساس للخلاف النحوي، وهي الحقبة التي سبقت حقبة الخليل بن أحمد.
   3) دراسة الأسباب في الخلاف النحوي، التي أدت إلى تهميش النحو الكوفي وإعلاء النحو البصري.
   4) دراسة الخلاف من وجهة نظر النحوي نفسه، وبيان الأسباب التي جعلت النحوي يخالف نفسه.
   5) الخلاف النحوي ودوره في تيسير النحو وتبسيطه.

مصادر البحث ومراجعه.

1. إبراهيم، محمد أبو الفضل(د.ت): تحقيق بغية الوعاة في طبقات النَّحويين واللغويين جلال الدين السيوطي، المكتبة العصرية، د.ط، صيدا وبيروت.
2. الأصفهاني، الراغب (1992): مفردات ألفاظ القرآن، ط2، دار القلم- دمشق.
3. الأفغاني، سعيد (د.ت): في أصول النحو، د.ط، دار الفكر، بيروت.
4. أمين، أحمد (1975): فجر الإسلام، ط11، دار الكتاب العربي، بيروت.
5. أمين، أحمد(د.ت): ضحى الإسلام، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت.
6. الجرجاني، علي محمد (1996): التعريفات، دار الكتب العلمية – ط1، بيروت.
7. حامد، فاطمة طاهر (1430هـ): أسس الترجيح النَّحوي، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى كلية اللغة العربية وآدابها؟؟ كلية-جامعة أم القرى.
8. الحديثي، خديجة (.2001): المدارس النَّحوية، ط3، دار الأمل – إربد.
9. الحموي، ياقوت (1936): معجم البلدان، د.ط، دار صادر، بيروت.
10. الحموي، ياقوت (1965): معجم الأدباء، د.ط، دار صادر. بيروت.
11. ديره، مختار أحمد (1424هـ 2003): دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، ط2، دار قتيبة، سوريا.
12. زكّار، عبد القادر (1981): تحقيق صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، للقلقشندي، ط1، وزارة الثقافة، دمشق.
13. سلامي، عبد اللطيف (د.ت): المدخل إلى فنّ المناظرات، ط1، دار بلومزبري- قطر.
14. السيد، عبد الرحمن، (1968): مدرسة البصرة النحوية، نشأتها وتطورها، ط1، مطابع سجل العرب، القاهرة.
15. شاكر، أحمد محمد، وهارون، عبد السلام، تحقيق إصلاح المنطق (د.ت): ابن السكيت، ط4، دار المعارف، القاهرة.
16. شاكر، محمود أحمد (د.ت): تحقيق طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ط دار المدني، جدة.
17. شيري، علي، (1988): تحقيق البداية والنهاية لابن كثير، ط1، دار إحياء التراث العربي.
18. ضيف، شوقي (د.ت): المدارس النحوية، شوقي ضيف، ط7، دار المعارف، القاهرة.
19. الطنطاوي، محمد (د.ت): نشأة النحو وتاريخ أشهر النُّحاة، ط2، دار المعارف، القاهرة.
20. الطويل، السيد رزق (1985): الخلاف بين النَّحويين، دراسة- تحليل- تقويم، ط1، المكتبة الفيصلية.
21. عبد الحميد، محمد محيي الدين (.1948): تحقيق وفيات الأعيان، ابن خلكان، ط1، مكتبة النهضة العربية، القاهرة.
22. العسقلاني، ابن حجر العسقلاني الطبقات الكبرى، طبعة ليدن.

23. فخري، هاني عبد الكريم (2009): المسألة الزنبُوريَّة وأوَّليَّات الخلاف النَّحوي، ط1، مركز المتفوق للطباعة والنشر، صنعاء.
24. الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب شرح الوجيز، المكتبة العلمية- بيروت.
25. الكبير، عبدالله علي، والشاذلي، محمد أحمد حسب الله ومحمد، هاشم، تحقيق لسان العرب، ابن منظور، طبعة جديدة ومشكولة، .د.ط، دار العارف، القاهرة، د.ط.
26. الكفوي، أبو البقاء (1998م): الكليات، مؤسسة الرسالة- بيروت.
27. المخزومي، مهدي (د.ت): مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللُّغة والنحو، ط2، مطبعة الباب الحلبي، مصر.
28. مكرم، عبد العال سالم (1993): الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت .
29. منير، محمد (1348هـ): تحقيق الكامل في التاريخ، ابن الأثير.
30. النجار، محمد علي (د.ت): تحقيق الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ط1، المكتبة العلمية، مصر.
31. النديم، محمد بن إسحاق (1978): الفهرست، دار المعرفة، د.ط، بيروت .
32. هارون، عبد السلام محمد (1987): تحقيق أمالي الزَّجَّاجي، أبو القاسم عبد الرحمن الزَّجَّاجي، ط2، دار الجبل، بيروت.
33. هرون، عبد السلام محمد (1984): تحقيق مجالس العلماء، أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي إسحاق الزَّجَّاجي، ط2، وزارة الأعلام، الكويت.
34. هنداوي، عبد الحميد (2000م): تحقيق المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن إسماعيل بن سيدة، ط1، دار الكتب العلمية- بيروت.

Second: Research sources and references; Translated into English.

1. Abd al-Hamid, Muhammad Muhiy al-Din (1948 AD): Investigation of the deaths of notables, Ibn Khalkan, 1st edition, Arab Renaissance Library, Cairo.
2. Al-Afghani, Saeed (D.T): On the origins of grammar, D.T., Dar Al-Fikr, Beirut.
3. Al-Asqalani, Ibn Hajar Al-Asqalani, The Great Classes, Leiden Edition.
4. Al-Fayoumi, Ahmed bin Muhammad, Al-Misbah Al-Munir in Ghareeb Sharh Al-Wajeez, Scientific Library - Beirut.
5. Al-Hadithi, Khadija (2001): Grammatical Schools, 3rd Edition, Dar Al-Amal - Irbid.
6. Al-Hamwi, Yaqut (1936): The Dictionary of Countries, Dr. I, Dar Sader, Beirut.
7. Al-Hamwi, Yaqut (1965): Lexicon of Writers, Dr. I, Dar Sader - Beirut.
8. Al-Isfahani, Al-Raghib (1992): Vocabulary of the Qur'an, 2nd Edition, Dar Al-Qalam - Damascus.
9. Al-Jurjani, Ali Muhammad (1996): Definitions, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya - 1st edition, Beirut.
10. Al-Kabeer, Abdullah Ali, and Al-Shazly, Muhammad Ahmed Hasab Allah and Muhammad, Hashem, investigation of Lisan Al-Arab, Ibn Manzoor, a new and edited edition, Dr. I, Dar Al-Arif, Cairo, D.T.
11. Al-Kafawi, Abu Al-Baqa (1998): Colleges, Al-Risala Foundation, Beirut.
12. Al-Makhzoumi, Mahdi (D.T): The School of Kufa and its approach to the study of language and grammar, 2nd Edition, Al-Bab Al-Halabi Press, Egypt.
13. Al-Nadim, Muhammad bin Ishaq (1978): Al-Fihrist, Dar Al-Ma'rifah, Dr. I, Beirut.
14. Al-Najjar, Muhammad Ali (D.T): Investigation of the Characteristics, Abu al-Fath Othman bin Jinni, 1st edition, the Scientific Library, Egypt.

15. Al-Sayed, Abd al-Rahman, (1968): Basra Grammar School, Its Origin and Development, 1st Edition, Arab Record Press, Cairo.
16. Al-Tantawi, Muhammad (D.T): The Genesis of Grammar and the History of the Most Famous Grammarians, 2nd Edition, Dar Al-Maarif, Cairo.
17. Al-Taweel, Al-Sayyed Rizk (1985): Dispute between Grammarians, Study-Analysis-Evaluation, 1st edition, Al-Faisaliya Library.
18. Amin, Ahmed (1975): Dawn of Islam, Ahmed, 11th Edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut.
19. Amin, Ahmed (D.T): Doha Al-Islam, 1st Edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut.
20. Deira, Mukhtar Ahmed (1424 AH 2003): A Study of Kufic Syntax through the Meanings of the Qur'an for Al-Farra', 2nd edition, Dar Qutaiba, Syria.
21. Dhaif, Shawky (D.T): Grammatical Schools, Shawky Dhaif, 7th Edition, Dar Al-Maaref, Cairo.
22. Fakhry, Hani Abdel-Karim (2009): The Al-Zanburi Question and the Preliminaries of the Syntactic Dispute, 1st edition, Al-Mutawafaq Center for Printing and Publishing, Sana'a.
23. Hamed, Fatima Taher (1430 AH): Foundations of Grammatical Weighting, PhD thesis, submitted to the College of Arabic Language and Literature?? College - Umm Al-Qura University.
24. Haroun, Abd al-Salam Muhammad (1984): investigation of the Councils of Scholars, Abu al-Qasim Abd al-Rahman bin Abi Ishaq al-Zajaji, 2nd Edition, Ministry of Information, Kuwait.
25. Haroun, Abd al-Salam Muhammad (1987): Edited by Amali al-Zajjaji, Abu al-Qasim Abd al-Rahman al-Zajjaji, 2nd edition, Dar al-Jabal, Beirut.
26. Hindawi, Abd al-Hamid (2000 AD): Investigation of the arbitrator and the greatest ocean, Abu al-Hasan Ismail bin Sayeda, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut.
27. Ibrahim, Muhammad Abu al-Fadl (D.T): Investigation of the goals of the enlighteners in the layers of grammarians and linguists, Jalal al-Din al-Suyuti, the modern library, Dr. I, Sidon and Beirut.
28. Makram, Abdel Aal Salem (1993): The Missing Link in the History of Arabic Grammar, 1st Edition, Al-Risala Foundation, Beirut.
29. Mounir, Muhammad (1348 AH): A complete investigation of history, Ibn Al-Atheer.
30. Salami, Abdul Latif (D.T): Introduction to the Art of Debating, 1st edition, Bloomsbury House - Qatar.
31. Shaker, Ahmed Mohamed, and Haroun, Abd al-Salam, investigation of Islah al-Mantiq (D.T): Ibn al-Sakit, 4th edition, Dar al-Maarif, Cairo.
32. Shaker, Mahmoud Ahmed (D.T): Investigation of "Tabaqat Al-Fahoul Al-Shu'ara", Muhammad bin Salam Al-Jamhi, Dar Al-Madani, Jeddah.
33. Sherry, Ali, (1988): The Investigation of the Beginning and the End by Ibn Katheer, 1st Edition, Dar Revival of Arab Heritage.
34. Zakkar, Abdul Qadir (1981): Subh Al-Asha's Investigation into the Construction Industry, Al-Qalqashandi, 1st Edition, Ministry of Culture, Damascus.